أنماط البِنيويَّة في النَّقد الأدبيّ الغربيّ رؤية وصفيَّة نقديَّة

تاريخ القبول 2020/6/27
تاريخ القبول 2020/11/24

المثنى العساسفة (*)
عدنان علي الشريم(†)

الملخّص

يهدف هذا البحث إلى بيان ثلاثة نماذج بِنائيَّة، لأعلامٍ ذاع صيتهم في التَّأصيل لأنماط بنائيَّة فرضت حضورها على المشهد النَّقديّ الأدبيّ الغربيّ والعربيّ، على حدٍّ سواء. وهو– في الوقت ذاته– يهدف إلى الانتقال من النَّقد البنيويّ العام إلى النَّموذج البنائيّ الخاص المنبثق من تجربة عَلَمٍ من أعلام البنيوية. ويجيبُ عن الأسئلة الآتية: ما أهمُّ الأنماط البِنيويَّة التي ظهرت في الدِّراسات النَّقديَّة الغربية والعربية؟ وهل توجد نماذج لنقَّاد طبَّقوا البنيويَّة؟ ومن هم النُّقاد الذين قدَّموا نماذجَ على أنماط البنيويَّة؟ وقد اتَّبع الباحثان في هذا البحث المنهج الوصفيَّ الاستقرائي. وقد انقسمت الأنماط البنيويَّة التي يعرض لها هذا البحث في ثلاثة أنماط، نالت شهرة واهتمامًا واسعين في الدَّرس النَّقديّ الأدبيّ، على صعيدَي التنظير والتطبيق، على حدٍّ سواء. وقد انتضمت هذه الأنماط على النحو الآتي: النَّمط الأوَّل: البِنيويَّة (الشَّكلانيَّة/ اللسانية)، ونموذجها عند (فرديناند دي سوسير). والنَّمط الثَّاني: البنيويَّة النَّفسيّة، ونموذجها عند (جاك لاكان). والنَّمط الثَّالث: البنيويَّة التَّكوينيَّة (التَّأسيس والمصطلحات والمفاهيم)، ونموذجها عند (لوسيان غولدمن).

الكلمات المفتاحية: أنماط البنيوية، البنيويَّة (الشَّكلانيَّة/ اللسانيَّة)، البنيويَّة النفسيَّة، البنيويَّة التكوينيَّة، النَّقد الأدبيّ الحديث.

(*) أستاذ مشارك في الأدب الحديث ونقده مركز اللغات/ الجامعة الأردنية Mothannahabashneh@gmail.com.

(†) أستاذ مساعد في الأدب الحديث ونقده –رئيس قسم اللغة العربية وآدابها/ جامعة إربد الأهلية Dradnanalshriem@yahoo.com.

Abstract

This research aims at illustrating three structural models of well-known scholars whose reputation has been rooted in structural patterns that have imposed their presence on the Western and Arab literary critical scene alike. At the same time, it aims at moving from general structural criticism to the special structural model that emerges from the experience of a famous scholar of structuralism. This research answers the following questions: What are the most important structural patterns that appeared in Arab critical studies? Are there examples of critics who applied structuralism? Who are the critics who provided examples of structural patterns? The two researchers employed the descriptive and Inductive method. The structural patterns presented in this research were divided into three patterns, which gained wide fame and interest in the literary critical lesson, both in theory and in application. These patterns are grouped as follows:

The first pattern: structuralism (formalism / linguistics), and its model is (Ferdinand de Saussure). The second pattern: psychological structuralism, and its model is (Jack Lacan). The third pattern: Formative structuralism (foundation, terminology and concepts), and its model is (Lucien Goldman).Key words: patterns of structuralism, structuralism (formalism/linguistic), psychological structuralism, formative structuralism, modern literary criticism.

المقدمة

يُلاحظ النَّاقد الأدبي، تعدد البنيويَّات، التي تنبع من أبعاد وعلاقات وأسئلة منهجيَّة ناتجة عن إشكاليَّة التَّحول المستمرِّ الذي تتعرض له البنيويَّة، من خلال اختلاف توجهات النّقاد الذين شكَّلوا هذه الاتِّجاهات والمنطلقات وفق مراحل زمنيَّة متفاوتة. ويتصدَّى هذا البحث لوضع أنماط عامَّة من الدِّراسات البنيويّة التي يمكن للباحث العربي تتبعها لمحاولة تسهيل التعامل مع البنيوية، ويبيّن الأنماط التي يمكن الاطِّلاع عليها وفق هذا المنهج النقدي، وهكذا تتجلى معرفة ظاهرة البنيويات التي هي أنماط للبنيوية، أمَّا عن مهمَّة هذا البحث، فتكمن في تقصِّي أنماط البنيويَّة التي تُوصف بتعدد اتجاهاتها وتياراتها ومنطلقاتها وفق رؤية نقديَّة فاحصة.

ويحاولُ البحث تقديم أجوبة ممكنة عن أسئلة عديدة أهمها: ما أهم أنماط البنيوية في النقد الغربي؟ وهل تم تطبيق هذه الأنماط البنيوية عند النقاد العرب؟ وأين يكمن دور الناقد العربي من خلال الابتداع أم الاتِّباع للأنماط البنيوية؟

كل هذه التساؤلات النقدية يحاول البحث تقديم إجابات منهجيّة عليها، وذلك من خلال البحث الدقيق في النصوص النقدية والأدبية المتعلقة بالبنيوية، ولا يعني تقديم هذه الإجابات الوصول إلى النموذج المثالي في التحليل، بل تشكِّل تحليلات جديدة وتثويرًا لأسئلة مختلفة وجديدة.

إنَّ البِنيويَّة التي تُوصف بتغييرها أفق النَّقد عند عدد من النُّقاد الغربيين والعرب مع معرفة تشكيلها نماذج حيوية وفاعلة في النقد الأدبي، بسطت نفوذها على الساحة النقديَّة، وهي تمثِّل ردَّة فعلٍ على جهود البنيويين في تكوين صورة نقديَّة، وهي كذلك تؤسِّس لفكرة تعدُّد الأنماط، إذ يعاين كلُّ نمط من أنماط البنيوية النَّص من زاوية معيَّنة، وربَّما تُوصف أنماط البنيوية بأنَّها إضافات على البنيويَّة الأولى (اللغوية/ الشَّكلية/

اللسانية)، التي أثارت أسئلة كثيرة حول طريقة التعامل مع العمل الأدبي. ويعرض هذا البحث ثلاثة أنماط بنيوية لنماذج من النُّقاد واللغويين الغربيين الذين أسهموا في تكوين أنماطهم البنيوية، ومن الأمثلة على هذه الأنماط: البنيوية (اللغوية/ الشكلية/ اللسانية)، والنموذج عليها هو اللغوي السويسري (فرديناند دي سوسير).

والبحث والتوسع في الحديث عن أنماط البنيوية يسبقه البحث عن تعريف البنيوية؛ وفي هذا الصدد، يذهب (جون ليتشه John Lechte) إلى أنَّ البنيوية: "تيار فكري من صفاته التركيز على العلاقات والاختلافات، أي ما يكون بعيدًا من التفسير الجوهري: الباحث عن الماهية. ويشتمل على نقد الأسس والافتراضات المسبقة لدى الوضعية الظاهرية. ويركز على المجتمع بوصفه نظامًا إذ يلاحظ أنَّ بعض الظواهر تكون حقيقية أو واقعية اجتماعية كلية. ويهتم بنظرية المعرفة، وتاريخ العلم، والتطورات العلمية كما يظهر عند عدد من المفكرين في هذا التوجه."[1].

وهذا التعريف للبنيوية يشمل مجموعة من الأمور، أهمُّها: بيان بعض المصطلحات البنيوية الخاصَّة مثل: العلاقة والبنية والنظام والكليَّة، وهي مفاهيم بنيوية ترسم لهذا المنهج طريقًا نقديًّا يتَّسم بالخصوصية، ولا تدخل البنيويَّة في سؤال: ما هو؟ بل تبحث عن العلاقات المؤدِّية إلى ماهيَّة الأنظمة، وهذا المنهج الفكري المسمَّى بالبنيوية انعكس على الكثير من العلوم مثل: علم الاجتماع وعلم النفس وعلم التاريخ والفيزياء، وظهر تأثيره في النقد الأدبي الغربي والعربي– على حدٍّ سواء. وتركِّز البنيوية على العلوم والحقول والنُّصوص بوصفها أنظمة يمكن إدراكها من خلال العلاقات الكامنة فيها. وتتعدد الأنماط البنيوية وتَشْمَلُ عددًا كبيرًا من الحقول المعرفية والنقدية واللغوية؛

[1] John Lechte, Fifty Key Contemporary Thinkers– From structuralism to postmodernity, (Routledge, 11 New Fetter Lane, London), 1994, p1.

إذْ تمثِّل هذه الحقول روافد تصبُّ في النقد البينوي، وقد واكب هذه الأنماط البنيويَّة إشكاليات في مفاهيم البنية، وربما يَنْتُجُ نمطٌ من أنماط البنيوية؛ بسبب إشكاليَّة معيَّنة وخير مثال على ذلك، ولادة البنيوية الاجتماعية التي جاءت استدراكًا على البنيوية الشكليَّة؛ لأنَّ البنيوية تشكل بؤرة لعدد من الأنماط والأشكال النقدية، ويبرز – هنا– سؤالٌ: هل ثمَّة علاقة قائمة بين الأنماط النقدية؟ وسيبقى هذا السؤال بحثًا عن إجابة نقدية منهجية ممكنة.

ويمكن ملاحظة ظاهرة من الاستقلالية النسبية التي ترافق كل نمط من أنماط البنيوية؛ لأنَّ هذه الأنماط تنطلق من آفاق مختلفة يصعب تعالقها في كثير من الوجوه النقدية، فبعض الإشكاليات البنيوية جعلت من تقارب هذه الأنماط غير ممكن، حتى لو أردنا، فلكلِّ نمط خصائصه التي تجعله ضمن قالب نقديٍّ داخليٍّ خاصٍّ به.

ويؤيِّد منهجيَّة الأنماط النقدية فكرة نقديَّة نصُّها: "لا شكَّ في أنَّ البنيويَّة ليست منهجًا مطبَّقًا بطريقة واحدة، فما يقوم به (ليفي شتروس) يختلف عن (بارت) و(فوكو) و(لاكان)، ولكنَّ هنالك المشترك بينهم كأولويَّة البنيويِّ على التاريخيِّ، وأسبقية اللغة على الواقع، وأهمية تأثير المنهج في النظرية والشكل في المحتوى، وليس هنالك مواقف مشتركة كالموقف من الذات، ومن اللغة، ومن التاريخ، وعلى رغم من الاختلافات الكبيرة التي تصل حدَّ التناقض بين زعمائها فهناك أصول مشتركة تلتقي عليها أنماط البنيوية مثل اللغة، أو بعض المصطلحات ذات الجذر اللساني والاهتمام بالرمزي وبحقول معينة داخل العلوم الإنسانية"[2]. ورؤية الناقد الأدبي للإشكاليات البنيوية من المفروض أنْ تكون موضوعية؛ فالمناهج لا تخلو من الإشكاليات، ولكن ما حدث في البنيوية اللسانية

[2] الزواوي، بغورة: البنيوية منهج أم محتوى، مجلة "عالم الفكر"، العدد الرابع، 30 أبريل، الكويت،2002، ص 42.

– وهي النمط الأول من البنيوية في القسم الأول من هذا البحث – وهو حالة من تعدد الأشكال النقدية التي أدت إلى وجود أزمة، مَرْجِعُها كثرة الإشكاليات.

وتطلَّب ذلك تدخُّل عدد من النقاد مثل:(لوسيان جولدمن Lucien Goldman) (1913– 1970) و(جاك لاكان Jack Lacan) (1901–1981)، و(كلود ليفي شتراوس Claude Levi Strauss) (1908– 2009)، وكان هذه التدخُّل النقدي– كل وفق تخصصه، وكلٌّ ينطلق من توجهاته النقدية؛ مما أدى إلى تبديل مسار البنيوية وإعادتها إلى المشهد النقدي بعدما وصلت إلى حالة من الأزمة والإشكالية النقدية، ويجب التوضيح – هنا– أنَّ البنيوية ليست واحدة بل بنيويات، وهذه البنيوية يمكن رؤيتها أشكالًا بوصفها لمنهج واحد في محدداته العامَّة ومختلف في أنماطه الخاصة، فلكل نمط من أنماط البنيوية محددات تساعد على إيجاد استقلالية تامة تميزه عن أي نمط آخر.

ويحاول هذا البحث الإجابة عن سؤال وُجِّه لبعض نقاد البنيويَّة وهو: هل كان إنتاج البنيويات بسبب ميل أو هوى أو ذائقة لنقاد البنيوية أو رغبة في الشهرة الأكاديمية لهذه المناهج أم كان هذا الإنتاج للبنيويات بناءً على مطالب منهجيَّة؟ وأيُّ نمط من أنماط البنيويَّة الواردة في هذا البحث أفضل من غيره، وأيُّ أنماط البنيويَّة يناسب النُّصوص الأدبية العربيَّة؟

وأمَّا السَّبب المباشر لعرض نماذج من النقاد على أنماط البنيوية مثل: (فريدناند دي سوسير) في النمط الأول من أنماط البنيوية وهو البنيوية اللسانيَّة (Linguistique Structuralism)، والنمط الثاني البنيوية النفسية(Psychoanalytic Structuralism) ونموذجها عند (جاك لاكان)، والنمط الثالث البنيوية التكوينية(Generative Structuralism) ونموذجها عند (لوسيان جولدمن)؛ فالسَّبب: "أنَّه لا وجود لمنهج مجرد من مقولاته ومرجعياته؛ فلا يمكن مثلاً عرض المنهج المادي

الجدلي دون الماركسية، أو نقل المنهج البنيوي دون مرجعياته الفكرية والأيديولوجية"[3]، وقد أظهر النمط البنيوي اللساني: "أنَّ النص لا يكون مرجعًا إلا لنفسه دون ارتباط خارجي؛ أي أنَّ مرجعيته تكمن في نفسه؛ في لغته أساسًا"[4].

النَّمط الأول من أنماط البنيويَّة وهو البنيويَّة (اللغويَّة/ الشَّكليَّة/ اللسانيَّة)، ونموذجها عند فرديناند دي سوسير:

يُميِّز النَّمط الأوَّل من البنيويَّة مجموعة من المميزات، أهمُّها: إحداثه ضجَّة نقديَّة واسعة في الوسط النقد الأدبي، قد حوَّلت المنهجية لرؤية العمل الأدبي. وقد وُصِفَ هذا النمط في العديد من الكتابات النقدية بأنه تثويرٌ منهجيٌّ، أو مرحلة جديدة وحاسمة في تاريخ النقد الأدبي. وقد أظهرت التوقعات عند بعض النقاد احتمال هيمنة البنيوية على المناهج النقدية المتعدِّدة كلِّها، مما دفع بعض النقاد إلى أن جعل ظهور البنيوية فى الأوساط الغربية "قد ابتلع كل الأيديولوجيات والمناهج السابقة، ليصبح المهيمن صاحب السيادة والسلطة التوجيهية فى الفكر الغربى."[5]، ومن الواضح أنَّ الناقد المنصف يدرك أهمية البنيوية، والمنجزات الدقيقة التي أضافتها للبحث النقدي، ولا ينسى الإشكاليات التي أوجدتها، ولا يعطي المنهج النقدي مهما بلغ من القوة أكثر من حجمه، فهو جملة من الأدوات المنهجية التي تسهم في الدخول إلى النص الأدبي، والملاحظ

3 صدقي، علي: المناهج النقدية الغربية في النقد العربي المعاصر، مجلة "عالم الفكر"، العدد(4)، المجلد 41 (أبريل- يونيو)، 2013، ص141.

4 مرتاض، عبد الملك: مدخل في قراءة البنيوية، مجلة "علامات في النقد"، النادي الثقافي الأدبي، جدة، المجلد السابع، ج8، 1998، ص14.

5 كريزويل، إديث: عصر البنيوية. ترجمة: جابر عصفور، الكويت، دار سعاد الصباح،ط (1)، 1993، ص ص 21- 22.

أنَّ المنهج النبيوي يقدم تصورًا للعمل الأدبي، ويطلب من الناقد الأدبي أنْ يضبط عمليات الانبهار بالمناهج النقدية حتى تأخذ دورها بوصفها أدوات منهجية تطبق على النَّص الأدبي.

وتتعدد الأسماء في وصف هذا النمط من البنيوية؛ فمنهم مَنْ يصفها بالبنيوية الشَّكلانية، أو اللسانية، أو البنيوية القديمة، أو البنيوية الأولى، وكل هذه الأسماء تصف مسمّى واحدًا، وهو ما يمكن تحديده بـ: "محاولة لتطبيق منهج علم اللغة العام على الأدب ونقده، وبالتحديد تطبيق المنهج الذي طبقه اللغوي فرديناند دي سوسير في دراسته للغة، فاكتشاف مفهوم البنيوية في علم اللغة دفع بارت وتودوروف وغيرهما إلى الكشف عن عناصر النظام في الأدب"[6]. وربَّما يكون أهم ما قدّمه هذا النمط من البنيوية العديد من المصطلحات التي أغنت النقد الأدبي بمضامينها.

وسيرة (سوسير)[7] العلميَّة تؤهله ليحظى بدور في علم اللغة العام، ولكن من يتتبع ما كُتب عنه يجد أنَّ تأثيره لم يكن وقت حياته، بل بعد غيابه عن هذه الحياة، وذلك حين تم نشر كتابه المشهور (دروس في علم اللغة)، وربَّما يكون أهم ما قدمه دي

---

6 ماضي، عزيز، شكري: في نظرية الأدب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط (4)،2013، ص ص174- 175.

7 فرديناند دي سوسير (Ferdinand de Saussur) (1857-1913): هو أشهر لغوي في العصر الحديث، ولد في جينيف عام 1857 من أسرة مشهورة بالعلم والأدب. درس في جامعات جينيف ولايبزك وبرلين، وحصل على درجة الدكتوراه من لايبزك عام 1880 م. عمل مدرسًا في مدرسة الدراسات العليا في باريس من 1881 – 1891م ثم أستاذًا لعلم اللغة العام عام 1907م في جامعة جنيف وبقي في هذا المنصب حتى وفاته عام 1913م. انظر: Ferdinand de saussure, Course in General Linguistics, trans. Roy Harris (London: Duckworth), 1983, p 3.

سوسير للحداثة، وللنقد البنيوي هذه الرؤية من الثنائيات، والعلاقات، والأنظمة، والعلامات؛ ممّا جعل اللغة أكثر تأثيرا. وقد "تطورت الأدوات الأساسية للتحليل البنيوي على يد اللغوي السويسري (فرديناند دي سوسير) في بداية هذا القرن. وكتابه (دروس في علم اللغة العام) عبارة عن مجموعة ملاحظات سجّلها طلابه، وطبع لأول مرة عام 1915م، فكان له تأثير سريع في الدراسات اللغوية الحديثة (تاريخ آخر ترجمة إنكليزية له هو 1959م، دليل على تأثير أفكار (سوسير)، وبرهان على الاهتمام المتزايد باللغة لدى الناطقين بالإنكليزية، وفي هذا الكتاب طوَّر(سوسير) عددًا من المفاهيم التي كان لها فيما بعد تأثير على الفكر البنيوي الحديث."[8].

ويمكن تحديد هذا النمط من البنيوية بعدد من المحدِّدات، وأوَّلها: ارتباطها بالفكر اللغوي الفرنسي، وثانيها: ارتباطها باسم (فرديناند دي سوسير) وكتابه دروس في علم اللغة العام، ومحاولة هذا النمط من البنيوية تقديم شكل علمي من الدراسة؛ إذْ يبدو أنَّ: "البنيوية تدعو إلى مفهوم النّظام، والكلية البنيويّة، وكذلك مفهوم العلائقيّة الذي يحكم عناصر النظام، وتسعى إلى كشف القوانين الداخلية التي تحكم اللغة"[9]. وهذه مفاهيم جديدة على النقد الأدبي مثل:(نظام وبنية، وعلاقة، وداخلي، وخارجي) كوَّنت عوامل جذب للكثير من النقاد، وعُدَّت تحولًا منهجيًّا في مجال النقد اللغوي.

أما عن هدف (سوسير) فهو:" كشف البنية الكلية للغة بوصفها نظامًا مركبًا. وتتمثل فكرته الأساسية في العلاقة بين الدَّال والمدلول. فالارتباط بين الدَّال اللغوي

---

[8] شولز، روبرت: البنيوية في الأدب، ترجمة: حنا عيود، منشورات إتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1984، ص25.

[9] صالح، فخري: آفاق النظرية الأدبية المعاصرة بنيوية أم بنيويات:النظرية ومقاومة النظرية، تحرير وتقديم: فخري صالح، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط (1)،2007، ص10.

(قطة)، والمفهوم المدلول (قطة) ارتباط اعتباطي تمامًا [حيث] لا تحمل الكلمة صفات من (القطة) الحقيقية، فهذه الكلمة مجرد نتيجية للعرف المتفق عليه. فكل لغة بها دال مختلف عن نفس المدلول أو الفكرة للقطة"[10]. وقد وصف هذا الفكر اللغوي – آنذاك– بأنَّه تقدم في أدوات الفهم، والمنهج فقد كان هذا التفريق الاعتباطي بين الدَّال والمدلول، وبين ثنائيات (دي سوسير) مصدر تنوير عند عدد من النقاد.

إنَّ ما قدّمه (سوسير) للبنيويَّة يُؤلِّف نمطًا مهمًّا لتكوين المعرفة داخل نمطه اللغوي، ولا بدَّ من ملاحظة أنَّ البنيوية تتميز عن كلِّ ما سبقها من المناهج الخارجية؛ لأنها تنظر للعمل الأدبي من داخل اللغة؛ إذْ تعني بهذا العمل من حيث هو عمل أدبي دون اهتمام مؤلفه، أو متلقيه، أو بيئته الاجتماعية، أو جوانبه الاقتصادية، وينطلق فهم سوسير من العمل ولا يحيد عنه. ويمكن أنْ نصف عمل (سوسير) اللغوي على أنه قراءة للعمل الأدبي بأساليب علميَّة، وقد انتقلت مقولاته من اللسانيات واللغويات إلى النقد الأدبي الغربي، ومن ثَمَّ إلى العربي، الذي طبقه ولاقى اهتمامًا كبيرًا إلى حدٍّ يمكن أنْ يوصف النقد العربي في فترة زمنية معينة من تاريخ النقد العربي الحديث بأنه نقد بنيوي.

أما النَّمط عند (سوسير) فهو:" يمثل حجر الزاوية للنظرية اللغوية المعاصرة فضلًا عن كونه البيان الرسمي لحركة فكرية عامة أكثر شمولية في القرن العشرين، وقد

10 سيم، ستيوارت ولوون، فان، بورين أقدم لك... النظرية النقدية، ترجمة: جمال الجزيري، المشروع القومي للترجمة، المجلس الأعلى للثقافة، مصر،2005، ص74.

أثرت في تخصصات متباينة مثل علم النفس (السيكولوجي)، والأنثروبولوجية الاجتماعية والنقد الأدبي. وتعرف تلك الحركة الفكرية الواسعة في يومنا هذا (بالبنيوية)"[11].

وتكشف البنيوية أنَّ: "الأدب تنظمه قوانين خاصة به، تُمكِّن من استوعبها من أنْ يحوّل جُملًا عادية إلى أبنية معانٍ أدبية"[12]. وذلك يعني محاولة الاقتراب بهذا النمط من البنيوية إلى حيز العلمية، هذه الفكرة بحد ذاتها تعني موضوعية النمط النقدي في طرق واعية للعمل الأدبي، وجدير بالاهتمام أنَّ القوانين في هذا النمط من البنيوية داخلية تنبع من العمل الأدبي، وليس من المؤلف، أو المتلقي، أو الجوانب الخارجية، مثل: الاجتماعية، أو النفسية، أو الاقتصادية، أو الثقافية، فالإبداع الأدبي في البنيوية الشكلية مستقلٌ تمامًا عن كل مرجعياته الخارجية.

و"لا يعترف البنيويون [الشكلانيون] بالبعد التاريخي، أو التطوري للأدب؛ إذْ يرون أنَّ الأدب نظام من الرموز والدلالات التي تولد في النَّص، وتعيش فيه ولا صلة لها بخارج النص ولا يعترف البنيويون بالبعد الذاتي، أو الاجتماعي للأدب؛ لأنَّهم يُعَرِّفون الأدب بأنَّه كيان لغوي، جسد لغوي، مجموعة من الأفعال النحوية، مجموعة من الجمل النحوية، بل إنَّ الكلام الأدبي ككل كلام واقع ألسني أي مجموعة من الجمل لها وحدتها المميزة، ونحوها، ودلالتها، والبنيويون يتعاملون مع النص الأدبي كما يتعاملون مع

[11] هاريس، تولبت: أعلام الفكر اللغوي (التقليد الغربي من سقراط إلى سوسير) ترجمة: الدكتور أحمد شاكر الكلابي، دار الكتاب الجديد المتحدة، لبنان، ج (1)، ط (1)،2004، ص258.

[12] عوض، ريتا: بنية القصيدة الجاهلية (الصورة الشعرية لدى امرئ القيس)، دار الآداب، لبنان، ط (1)، 1992، ص118.

الجملة، فالجملة كما هو متفق عليه ألسنيًا قابلة للوصف على عدة مستويات (صوتية، تركيبية، دلالية)"[13].

إنَّ هذه الأبعاد التي يمكن وصفها بالخارجية مثل: الاجتماعية، والنفسية، والاقتصادية، والذاتية تستغني عنها البنيوية الشكلية؛ إذْ يمكن أنْ تعد هذه الجوانب الخارجية في نمطين من البنيوية، وهما البنيوية النفسية، والبنيوية الاجتماعية، فالمقصود بالبنيوية، في الاقتباس السابق البنيوية الشكلانية. أمّا علاقات البنيوية الخارجية والداخلية فهي مرتبطة بنمط البنيوية المراد معاينته، فعلاقات البنيوية ليست ثابتة بل متطورة بشكل مستمر، وربما يلحظ الناقد أنَّ هذه التطور في علاقات البنيوية مهم لاستمرارها، ولجعلها تواكب واقع ناقدها.

المطلب المنهجي الذي تُطَالَبُ به البنيوية، هو أن تُعمِّق الرؤية؛ لتجاوز الشكلية التي رافقتها في نشأتها الأولى، وأن تستوعب المراجع الاجتماعية والنفسية، فلا يكفي الاقتصار على رصد الجوانب الشكلية، فلا بد من ربط ذلك بزاوية الرؤية الاجتماعية التي تصل العناصر الشكلية بدلالاتها الكلية، ويبدو أنّ هذا المطلب يتجلى في التطورات التي حصلت للبنيوية عبر مسيرتها النقدية؛ إذ يلاحظ أن البنيوية الاجتماعية، والنفسية تشكل استدراكًا على ما كانت تعانيه البنيوية عندما أغلقت النَّص وقصرته على ذاته.

وهنا يتّضح أنَّ إغلاق العمل الأدبي على ذاته يظهر عزله عن المرجعيات الاجتماعية والنفسية والثقافية؛ مما يعني الاكتفاء بالمستوى الشكلي وحدَه، ومن الجدير بالاهتمام أنَّ هذه المرجعيات تؤلِّف زوايا نظر تضئ العمل الأدبي، ولا يطلب من الناقد

[13] ماضي، عزيز شكري: من إشكاليات النقد العربيّ الجديد، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط (1)، 1997، ص31.

أن يقع أسيرًا لها. فهو يستدل بها وإنْ كان ينطلق من لغة النَّص الأدبيَّ، وهي التي ترجعه إلى أهميَّة هذه المراجع في كشف منظومات العمل الأدبي وتجلية أبعاده.

ويُعرف هذا النَّمط من البنيويَّة بالبنيويَّة اللسانيَّة، أو الشكليَّة، أو اللغويَّة؛ لأنَّها تركز على مستويات لسانيَّة خاصَّة في اللغة، ويمكن تقديم تعريف للسانيات بأنَّها: "الدِّراسة العلميَّة للغة من حيث هي لغة ، دراسة مستقلة عن العلوم الأخرى"[14]. ويلاحظ إيراد كلمة البنيويَّة دون تخصيص نمط من أنماطها؛ ممَّا يدلُّ على هذا النَّمط من البنيويَّة وهو البنيويَّة اللسانيَّة.

وأصول البنيوية ليست ضمن اللغة، فكما وصفناها بكونها تيارًا فكريًا، والملاحظ الظاهر أنَّ: "البنيوية مدّ مباشر من الألسنية (علم اللغة)، ويقف السويسري (دي سوسير) على صدارة هذا التوجه النقدي، وذلك منذ أنْ عرَّفَ اللغة على أنَّها نظام من الإشارات، وهذه الإشارات هي أصوات منتظمة، ولا تكون ذات قيمة إلا إذا كان صدورها للتعبير عن فكرة أو لتوصيلها، وهذا جعل سوسير يركز على البحث في طبيعة (الإشارة) من حيث هويتها ووظيفتها. وبين ذلك بفكرة مؤداها أنَّ البحث في طبيعة الإشارة يظهر أنّها ذات طبيعة (اعتباطية) تعتمد على الاتفاق العرفي، ولهذا فإنَّ معرفة الإشارة لا تتم من خلال خصائصها الأساسية، وإنَّما يتم ذلك من خلال تمايزها باختلافها عن سواها من الإشارات، فكلمة (ضلالة) صارت ذات معنى ليس لشيء في ذاتها، ولكن لوجود (الهداية) فبضدّها تتبين الأشياء، ولولا (السواد) لما عرفنا (البياض)"[15]، وتركز هذه

14 خليل، إبراهيم: في اللسانيات ونحو النص، دار المسيرة للنشر والتوزيع، الأردن، ط (1)، 2007، ص13.

15 الغَذّامي، عبد الله: الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية قراءة نقدية لنموذج إنساني معاصر (مقدمة نظرية ودراسة تطبيقية)، ط (6)، المركز الثقافي العربي، المغرب، 2006، ص30.

الفكرة على أن دلالة الكلمات ناتجة عن اختلافها القصدي الذي يحقق لها مقاصدها، وهوية تشكيلها من خلال النظام المُشكِّل لها، ويؤكد هذه الفكرة مسألة انتظام الأصوات اللغوية بطريقة تحقق أشكال التواصل من خلال ما استقر لها من أعراف لغوية منتجة نظامية خاصة لتحقيق المراد منها، وتؤصل لنشأة اللغة بطريقة اعتباطية لا تلزم الكلمات بوجه واحد من التعبير، وأنَّ النظاميَّة تحصَّلت لها من خلال التَّطور الاجتماعي الذي رسَّخ دِلالات نظاميَّة لها.

وواضح أنَّ المراجع التي صدرت عنها البنيوية في أدائها متنوعة مثل: اللغة والأدب والنقد والفيزياء والمنطق، وهذا يفسر إمكانية تطبيق البنيوية على كثير من الحقول المعرفية.

وفي ختام الحديث عن النمط الأول من أنماط البنيوية الشكلانية، لابدَّ من تلخيص الحديث عن البنيوية اللسانية بالإشارة إلى موقف البنيويين العرب:" فبالرغم من أنَّ البنيوية في جوهرها تركِّز على الداخل، وعلى دراسة البُنى الصغيرة التي تكوِّن النَّص من داخل النَّص ذاته، في علاقاتها بعضها ببعض، على أساس أنَّ العلامة اللغوية ليست رمزًا لشيء خارجي في حقيقة الأمر، ومن ثم يجب دراستها في عزلة عن دلالتها المادية خارج النص، وهو ما يطلقون عليه النَّصَّيَّة، أراد البنيويون العرب، وجلُّهم إلى يسار الوسط إمساك العصا من منتصفها، وتحقيق معادلة خاصة بهم تقوم على أساس دراسة العلامة غير المنفصلة عن الواقع المادي الذي أفرزها. مما أوقعهم في بعض التناقضات الواضحة" على أنَّها مستقلة[16].

16 حمودة، عبد العزيز: المرايا المحدبة (من البنيوية إلى التفكيك)، مجلة "علم المعرفة"، الكويت، 1998 ص61.

ولعل بعض هذه التناقضات التي وقع بها الناقد البنيوي العربي، تعود في جانب منها إلى "هيمنة مفهوم "الإبداع" لدى الكثيرين وصعوبة إدراك الجانب "غير الإنساني" في الأسس الفلسفية لكثير من المناهج الغربية المعاصرة الذي يتنافى مع الدلالات الرومانسية للإبداع، فالبنيوية، مثل النقد الأسطوري، غير معنية بالجانب الإبداعي في النصوص الأدبية، وانشغالها الأساسي ينصب على الأدب بوصفه نظاما شاملا من أنظمة الثقافة التي يموت فيها المؤلف أو الإنسان المبدع... والثقافة العربية التي يصدر عنها كثير من النقد العربي ما تزال إنسانوية (أو ذات نزعة إنسانية تتمركز حول الإنسان) تؤمن بالمؤلف وبالمبدع. "[17]، وفي جانب آخر، ترجع تلك التناقضات إلى افتقار الناقد الحداثي العربي إلى "فلسفة خاصة به عن الحياة والوجود والذات والمعرفة، فهو يستعير المفاهيم النهائية لدى الآخرين ويقتبس من المدارس الفكرية الغربية، ويحاول في جهد توافقي بالدرجة الأولى، تقديم نسخة عربية خاصة به."[18].

وقد أدى هذا التوجه إلى اتساع البنيوية وجعلها تستشرف العمل الأدبي من خلال قراءة شبكة العلاقات النفسية والاجتماعية في سياق وعي خاص للعلاقة بين الموضوعية والذاتية، وهذا ما يظهره البحث في النمطين النفسي والاجتماعي.

النَّمط الثَّاني من البِنيويَّة: البِنيويَّة النَّفسيَّة ونموذجها عند (جاك لاكان) (1901-1981)[19]:

17 البازعي، سعد: استقبال الآخر- الغرب في النقد العربي الحديث، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط (1)، 2004، ص 184.

18 حمودة، المرايا المحدبة، (مرجع سابق)، ص ص 62- 63.

19 "جاك لاكان، محلل نفسي فرنسي، أكتسب شهرة واسعة بعد تحليله نصوص فرويد، وإعادة قراءتها عن طريق المنهج البنيوي، من كتبه (ما وراء اللغة النفسية، 1966)، وبيّن أنَّ دور اللغة هو

إنَّ مسمَّى البنيويَّة النفسيَّة يوفر جزءًا من الجهد المطلوب لعرضه، فالبنيويَّة النفسيَّة تركز على علاقة البنية اللغويَّة بالجانب النَّفسيّ، ويتحرك النقد الأدبي بشكل عام بين ثلاثة عناصر مهمَّة هي: العمل الأدبي، والمؤلف، والمتلقي. وقد أظهر البحث النمط الأول من أنماط البنيوية الذي اقتصر عمله على العنصر الأول من العناصر، وهو العمل الأدبي، وأما اختلاف هذا النمط فجاء من الاهتمام بالمؤلف؛ إذا ترفض البنيوية النفسيَّة إغلاق العمل الأدبي على طريق البنيوية الشكلية/ اللسانية، وتظهر البنيوية النفسيَّة العلاقة بين البنى اللغوية والنفسية؛ أي إدخال الجانب الخارجي على الجانب الداخلي، ويعني ذلك النظر للعمل من خلال أفق أكثر اتساعًا يتم من خلال العوالم النفسيَّة، والجوانب النصية، ويوصف: "إنتاج (لاكان) اجتياح للتحليل النفسي للأدب"[20].

وهكذا كانت: "كل محاولة (لاكان) متعلقة بالبنى؛ لإعطاء التحليل النفسي صفة علميَّة. وهنا يلتقي (لاكان) مع (ألتوسر) و(ليفي – شتراوس) في المطمح المتشابه لما يهدفان إليه"[21]. علمًا بأنَّ هذا الهدف هو الطرائق العلمية للمقاربة للبنيوية.

وهكذا يتَّضح أنَّ مَنْ يطالع كتب جاك لاكان وما كتب عنه، يلاحظ أسئلته التي شكلت عنصرًا حاسمًا في تكوينه المعرفي، فالتحليل النفسي في البنيوية النفسية يرتبط ارتباطًا وثيقًا باللاشعور الفردي، واللاشعور الفردي مُشَكَّل من بنيات لغوية: و"الفكرة

كونها مرآة عاكسة للوعي.". انظر: سعد الله، سالم، محمد: الأسس الفلسفية لنقد ما بعد البنيوية (دراسة فلسفية)، دار الحوار للنشر والتوزيع, سورية، ط (1)، 2007، ص325.

20 أوزياس، ماري، جان، وآخرون: البنيويّة، ترجمة: ميخائيل إبراهيم مخّول، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، 1972، ص174.

21 المرجع نفسه، ص176.

الماثلة في أنَّ النفس البشرية تحددها بنيات اللغة تتموقع في المقام الأول، وهذا يجعل بإمكاننا أنْ نَصِفَ (لاكان) بأنَّه بنيوي"[22]، وتلك الأسئلة والافتراضات جعلت (جاك لاكان) يشكِّل النَّمط البنيوي النفسي في هذا البحث.

ومن الأمثلة على ذلك ما قدّمه:" (جاك لاكان) في التحليل النفسي وفي المزج بين عمليات التداعي في الوعي، والبنية اللغوية التي تستقطب دائمًا نموذج اللغة، ولكن فيما يتصل بالنقد الأدبي كان لهذا الاستقطاب ما يسوِّغه على وجه خاص، وذلك لأنَّ طبيعة المادة المكونة للأدب في التحليل النقدي الأخير كانت هي اللغة، فالأدب لا يتكوَّن من أفكار ولا مشاعر ولا آراء، وإنمَّا هو جسد لغوي ممثل للنص الأدبي، ومن ثم فإنَّ أي مقاربة لتحليل هذا الأدب بمنهج علمي يعتمدون على استراتيجياته في سبر أغوار النصوص الأدبية، ويبدو أنَّ المنهج النفسي يشكِّل استدراكًا على المنهج البنيوي الشكلي؛ لأنه يستبطن المنطويات التي تقع وراء المعطى اللغوي. مما يقتضي أنْ تبدأ من منطلق اللغة"[23].

لقد عرض (جاك لاكان) الذي ينتمي لمرحلة ما بعد الفرويدية النفسيَّة الفكرة القائلة: "بأنَّ اللاوعي يتشكل (مثل اللغة)، وكان يقصد أنَّ اللاوعي لا يظهر لنا إلا في شكل نظام ولكنَّه يظل مجهولاً لنا في حد ذاته وتوجد اللغة قبل أنْ يوجد أيٌّ منَّا. ونحن بوصفنا أفرادًا نتشكل بما يسبقنا دومًا باعتباره (معنى موجودًا بالفعل)"[24].

22 بريتون، سيليا: النظريات البنيوية والنفسية والماركسية: موسوعة كمبريدج في النقد الأدبي، المشروع القومي للترجمة، تحرير: رامان سلدن، 2006، ص322.

23 فضل، صلاح: مناهج النقد المعاصر، أطلس للنشر والإنتاج: القاهرة، ط (4)، 2005، ص62.

24 سيم، ستيوارت: أقدم لك... النظرية النقدية، (مرجع سابق)، ص77.

وهنا يتبين أنَّ: "التعامل مع اللغة على أنَّها نظام موجود وسابق علينا لا يفقدنا القدرة التوليدية لإيجاد أنظمة مماثلة، والبنيوية النفسية مستثمرة للبنية اللغوية وعلم النفس حيث يوجد لكلٍّ منهما استخدام مخصوص، وجدير بالقول إنَّ النظام اللغوي سابق علينا، فالأسبقيَّة للنظام لا تنفي الخصوصية للاستخدام اللغوي، وقد حددت البنيوية النفسية طريق التحليل لآلية اكتساب الطفل للغة إطارًا منطقيًّا، ويقول (جاك لاكان) عن حالة اكتساب اللغة عند الطفل: "فالطفل دخل في نظام، وفي بنية وفي منظومة"[25]. ويبدو أنَّ إدراك أهمية البنية اللغوية وسَبْقِها لوجود الإنسان (الطفل) يؤدي إلى إمكانيَّة فهم النفسيَّة الإنسانيَّة من خلال البنيات اللغويَّة، لأنَّ اللغة تقدم نموذجًا يمكن من خلاله فهم الإشكاليات النفسيَّة التي يعاني منها الشَّخص المراد تحليل نفسيته، و: "إذا كانت البنيوية تتفق مع علم النفس في أنَّها ترى في سلوك الإنسان معنىً أعمق من المظهر السطحي، وتتفق معه في أنَّه، لكي تصل إلى هذا الهدف، لا بد من تجاوز المحيط الفردي إلى محيط أشمل"[26].

فهذا يكشف أنَّ الإبانة عن الجانب النفسيّ الذي يُؤَسَّسُ عليه العمل الأدبي يؤدِّي إلى فهم شخصيَّة المؤلف انطلاقًا من كون هذا العمل يُشكِّل تجسيدًا لما يدور في ذهن المؤلف من تصوُّر ذهني تابع من الوضع النفسيّ الذي يعيشه، وأنَّ المستوى اللغوي يمثِّل علامة دالَّة على وعي العلاقة التي تصل الإشارات اللغوية بالمعطيات

25 أسعد، وجيه: علم النفس وميادينة: ممارسة علم النفس ونقده، الدار المتَّحدة للنشر، سورية، ط (2)، 1993، ص97.

26 المسدّي، عبد السلام: قضية البنيوية (دراسة ونماذج)، نشر وزارة الثقافة، تونس، ط (1)، 1991، ص 120.

النفسيَّة التي تُشَكِّل دافع الإبداع عند المبدع ممَّا يتطلب وعي هذا الدَّافع عن طريق أنماطه اللغوية.

ومن الأمثلة التطبيقية المبكِّرة في النقد الأدبي العربي، ما قدّمه كمال أبو ديب من تحليل بنيوي للفاعليَّة المعنوية والفاعلية النفسية للصورة (دراسة في البنية)، وقد توصَّل من خلال تطبيقه على المنهج النَّفسي إلى توصيف المنهج البنيوي النفسي بقوله: "وهذا اتجاه في البحث قد يكون واحدًا من أكثر الاتجاهات النقدية طاقة وقدرة على الإضاءة، وقد يجلو تطبيقه على الشعر العربي، قديمه وحديثه، أبعادًا في هذا الشعر تبقى في غياب المنهج غائمة معتمة، إنْ لم تظل في الواقع خارج نطاق الإدراك"[27].

ويبدو أنَّ مَرْجِعَ الاختلاف هو تباين طرائق النَّظر؛ إذْ يلاحظ أنَّ المنهج البنيوي يركز على العلاقة بين البنية والدلالة في قراءة العمل الأدبي، بينما يسعى المنهج النفسي إلى استنباط المدلولات النفسية الكامنة وراء شبكة العلاقات اللغوية لبيان ما يختزله العمل الأدبي من مدركات نفسية تقودها الرموز اللغوية[28].

النَّمط الثَّالث من البِنيويَّة: البِنيويَّة التَّكوينيَّة (التَّأسيس والمفاهيم)، ونموذجها عند لوسيان غولدمن[29]:

---

27 أبو ديب، كمال: جدلية الخفاء والتجلي دراسات بنيوية في الشعر، دار الملايين، لبنان، 1984، ص58.

28 الرقب، أحمد: نقد النقد (يوسف بكار ناقدًا)، دار اليازوري، الأردن، 2007، ص91.

29 لوسيان غولدمان ولد في بوخارست سنة 1913م، تأثر بأعماله حول البنيوية التكوينية. و[يوصف بأنه عالم اجتماع لغوي]. انظر: .P.V.Zima: Golman–psychotheque, 1973,p4 . وانظر :(لوسيان، غولدمان، وآخرون: البنيوية التكوينية والنقد الأدبي، مؤسسة الأبحاث العربية، لبنان، ط (1)، 1984، ص11.

تسمَّى البنيويَّة التكوينيَّة بالبنيويَّة التوليديَّة، أو الاجتماعيَّة، أو بنيويَّة غولدمن[30]، وأحسب أنَّ البداية في تشكيل صورة للبنيويَّة التكوينيَّة يرجع إلى مؤسِّسها وهو:" لوسيان غولدمن Lucien Goldman (1913– 1970) الذي أرسى دعائم

30 اختلفت الترجمات التي نقلها النقاد العرب لهذا المصطلح، وقد تجاوزت الخمسة عشر مصطلحًا، كان أشهرها (البنيوية التكوينية) الذي يقارب المصطلح الأجنبي له، وذلك من جانبين، الأول: الشهرة التداولية الواسعة لهذا المصطلح، والآخر، أن مصطلح (البنيوية التكوينية) يمكنه أن يؤدي الوظائف التي تحملها المصطلحات المناضرة الأخرى له، كالدينامية والحركية في تضمنها عنصر الحركة والماركسية والجدلية وغيرها. فضلا عن مصطلح (البنيوية التكوينية) نجد مصطلحات أخرى منها: (التوليدية) عند صلاح فضل، وجابر عصفور، وسعيد علوش، ونايف عكاشة. و(البنيوية التوالدية) عند نهاد التكرلي، و(الدينامية) عند سمير حجازي، و(التركيبية) عند جمال شحيد، و(المنهج الهيكلاني التولدي) عند حسين الواد، و(الهيكلية الحركية) عند محمد رشيد ثابت، و(البنيوية الجدلية) عند جورج طرابيشي، و(البنيوية الماركسية) عند عبد العزيز حمودة، و(الواقعية البنيوية) عند يمنى العيد، و(البنيوية الوراثية) عند منذر عياشي في كتاب (النظرية والنص). انظر: الجبوري، عباس محمد رضى، وإيناس كاظم شنبارة: عتبات البنيوية التكوينية ونقاط انطلاقها، مجلة "كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية"، جامعة بابل، العدد 25، شباط، 2016، هامش رقم (*) ص 464، وانظر: وغليسي، يوسف: إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم ناشرون، الجزائر، ط (1)، 2008، ص ص 147–150.

المنهج البنيوي التكويني، حين أعتمد بعض مقولات أستاذه (جورج لوكاش) وطوّرها، فشغل النقد الأوروبي، كما فعل (رولان بارت)[31] في النقد العالمي"[32].

والبنيوية تَشَتقُ مفهومها من البنية التي لا بدّ لمن يدرس هذا المنهج أنْ يحيط بمفهومها، فالبنية هي مدخل المنهج البنيوي، ويمكن أنْ نعرفها بكونها:" القانون الذي يفسر تكوين الشيء ومعقوليته"[33]. ويتصدى الناقد البنيوي للبيان عن البنى التي تحكم الظواهر داخل الأعمال الأدبية.

ومن أهم شروط البنية التي: "تفهم على أنَّها شيء جلي معطى، وليس شيئًا يتم ابتكاره من خلال خطوات إجرائية بين المتفاعلين من الناس، وينتهي الأمر بنا إلى تصنيفات تشتمل على أعداد مختلفة من الفئات ودرجات التفصيل، ولكن دون التوصل إلى صورة جليَّة لكيفية استغلال النصوص في النشاط الاجتماعي."[34].

---

31 بارت: هو رولان بارت "ولد في شربور سنة 1915م، ونشأ في بايون وباريس، نال شهادة في الدراسات الكلاسيكية من جامعة السوربون سنة 1939 م، وبعد الحرب العالمية مباشرة درّس في جامعتي بوخارست والإسكندرية، ودرّس منذ عام 1960 م في الكلية العلمية للدراسات العليا في باريس. وفي سنة 1876م أصبح أستاذاً في علم السيميولوجيا [علم العلامات] الأدبية في كوليج دي فرانس." انظر: John Sturrock,"Roland Barthes",in John Sturrock,ed., Structuralism and Since: From Levis-Straus to Derrida(Oxford U P, 1979),P.69.

32 عزام، محمد: فضاء النص الروائي (مقاربة بنيوية تكوينية في أدب نبيل سليمان)، دار الحوار للنشر والتوزيع، سورية، ط (1)، 1996، ص43.

33 ديبوغراند، روبرت، وآخرون: مدخل إلى علم لغة النص، دار الكتاب، جامعة نابلس، ط (1)، 1992، ص48.

34 إبراهيم، زكريا: مشكلة البنية أو أضواء على البنيوية، مكتبة مصر، مصر، 1976، ص259.

ومن الإشكاليات التي تواجه الناقد البنيوي هو تعدد أنواع البنيوية: فالبنيوية بنيويات ويمكن ذكر أهم أنواع البنيويات حيث: "تتنوع البنيوية بحسب مفهوم المحلل لها، فإذا اعتبرها منهجًا لمقاربة الظواهر، فإنَّ تحديد أنواعها يكمن بحسب مجالاتها، كالأنثروبولوجيا الاجتماعية (ليفي شتراوس)[35]، وعلم النفس التحليلي(لاكان)، وتاريخ العلوم وفلسفتها (فوكو)[36]، وإذا اعتبرها نظريةً في الأدب، أو منهجًا لتحليل النصوص، فإنَّ تحديد أنواعها يكون بحسب مستوياتها، كالبنيوية التوليدية (غولدمان)، والبنيوية التزامنية (بارت)"[37]. ويمكن وصف آلية عمل البنيوية التكوينية من خلال مقولة نصّها: "إنَّ البنيوية التكوينية تصر على أنَّ هذه البنى هي الجانب الجماعي من فكر الإنسان، واحساساته، وعاداته الخلقية التي لا يمكن دراستها في منأى عن التاريخ، وهذا الاستنتاج يميز (غولدمان) عن سواه من البنيويين ويمنحه مزية خاصة على السسيولوجيين المعاصرين، فالعمل الأدبي يجب أنْ ينظر إليه من حيث هو بنية لها موقعها من السياق

35 "كلود ليفي – شتراوس، أستاذ الأنثروبولوجيا [علم الإنسان حيث هو كائن فيزيقي] الاجتماعية في الكوليج دي فرانس [تعد من أفضل كليات التدريس في فرنسا]" انظر: ليتش، إدموند: كلود ليفي – شتراوس (دراسة فكرية) ترجمة: ثائر ديب، منشورات وزارة الثقافة، سورية، 2002، ص3.

36 ميشيل فوكو: "مفكر فرنسي (1826– 1984) الذي حصر اهتماماته – تقريبًا– في دراسة (الجنس) و(الجنون)." انظر: هوروكس، كريس، وجفتيك، زوران: أقدم لك... فوكو، ترجمة: إمام عبد الفتاح إمام، المشروع القومي للترجمة، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، 2002، ص5.

37 زيتوني، لطيف: آفاق النظرية الأدبية المعاصرة بنيوية أم بنيويات؟ (بنيوية واحدة بكيفيات كثيرة)، تحرير وتقديم: فخري صالح ، المؤسسة العربيّة للدراسات والنشر، بيروت، ط (1)، 2007، ص 24 .

التاريخي"[38]. وفي الختام يمكن تقديم وصف ممكن للبنيوية من خلال الإشارة إلى البنيوية التكوينية وهي: "المنهج النابع من معطيات أساسية في الفكر الماركسي والذي أولى عناية خاصة لاكتناه العلاقة بين بنية العمل الأدبي وبين البنى الاجتماعية (الاقتصادية والسياسية والفكرية)، ولعلَّ (لوسيان جولدمن) أبرز النقاد الذين أسهموا في تطوير هذا التناول"[39].

وهنا يظهر سؤال جوهري يفرضه التَّنوع الواضح في أنماط النبيوية التي توقف هذا البحث عند بعضها، وهو ما النَّمط البنيوي الأمثل لقراءة النصوص الأدبيّة العربية؟ ونقترح للإجابة عن هذا السؤال فكرة أساسيّة وهي ربط هذه البنيويات بالمرجعيات الفكرية التي صدرت عنها لملاحظة التصنيفات المعرفية التي قادت إليها، ويبدو أنّ كلَّ نمط من أنماط البنيوية جاء استجابة لمطالب نقدية تقتضيها العلاقة بين الفكر النقدي وطبيعة المرحلة، وما تفرضه من فنون إبداعية تطلب أشكالًا منهجية تناسبها. فالبنيوية الشكلية تنظر للشَّكل على أنه المدخل للبيان عمَّا يحمله العمل الأدبي من دلالات من خلال الثنائيات العقدية، وقد أعتمدت البنيوية النفسية على العلاقة بين النموذج اللغوي، والمدركات النفسية التي يتضمنها هذا النمط للإبانة عنها، وظهرت هذه البنيوية في أقصى تجلياتها عند (جاك لاكان)، أما البنيوية الاجتماعية فقد جاءت واضحة المعالم عند "لوسيان جولدمان" من خلال رصد العلاقة بين البنية، وعلم الاجتماع، والبحث عن التصور الاجتماعي الذي يؤثر في البنية الاجتماعية من حيث الدلالة. أمّا السؤال الحرج

---

[38] هال، جون وبويلوور، وليام وشوبان وليامز (1986) مقالات ضد البنيوية، ترجمة: إبراهيم خليل، دار الكرمل، الأردن، 1986، ص25.

[39] أبو ديب، كمال: الرؤى المقنعة (نحو منهج بنيوي في دراسة الشعر الجاهلي)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1986، ص6.

أي الأنماط البنيوية الأفضل في تحليل العمل الأدبي؟ وتأتي الإجابة أن اختيار النمط يكون مناسبًا لبيئة العمل الأدبي والمستوى الفكري الذي يغلب عليه، وأنَّ بعض الأعمال الأدبية لا تقتصر على نمط بعينه من الأنماط، ولكنها قابلة للتحليل وفق أنماط مختلفة لكونها حمَّالة وجوه، وأنّه لا بد من توظيف الأنماط البنيوية المتعددة من شكلية، واجتماعية، ونفسية؛ للإفادة من التطور الذي حصل على البنيوية، وتوظيف وسائل هذا التطور في قراءة الأعمال الأدبية.

وقد أشار (عبد السلام المسدي) في كتابه: "البنيات الدالة في شعر أمل دنقل" إلى طريقة تهدف إلى استثمار النتائج الباهرة التي تجمعت من قراءة المناهج الحديثة ذات التوجهات من بنيوية، وبنيوية تكوينية، ودلالية، وموضوعاتية؛ لأنَّ مثل هذا الانفتاح يتيح لنا توسيع الحقل الإجرائي وإخصابه بالأدوات (القارئة)"[40] وهذا الاستثمار النقدي قد يُوَظَّفُ من خلال استثمار عدد من أنماط البنيوية إنْ احتاج العمل الأدبي لذلك من خلال الأدوات المحللة للنصوص.

وذلك يعني الإفادة من البنيويات وفق طلب النَّص للمنهج الذي يناسبه، وربما يواجه هذا النوع من الدراسات المستثمرة لعدد من الأنماط إشكالية منهجية، لأنَّ مفهوم البنية وهي المدخل الأساس للأعمال الأدبية يختلف من نمط إلى آخر من أنماط البنيوية، حيث يكون في البنيوية التكوينية مستوعبًا للمجتمع والجوانب الخارجية، بينما يكون مفهوم البنية في البنيوية (الشكلية /اللسانية) مغلقًا مكتفيًا بقراءة النص من داخله ولا علاقة له بما يقع خارج النص من واقع اجتماعي، أو نفسي، وتركز البنيوية النفسية

40 المسدي، عبد السلام: البنيات الدالة في شعر أمل دنقل، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1994، ص18.

على العلاقة بين المستوى اللغوي، والمستوى النفسي وهذا يكشف عن أهمية تضافر الأنماط البنيوية لتقديم نمط كلّي.

ولا غرو –هنا–، تستثمر الأدوات المنهجية التي تحتويها هذه الأنماط على اختلافها، أنْ يتخذ النقاد منهجًا أو آخر من مناهج النقد الأدبي في سبيل تحسين فهمنا للنصوص، واستكشاف ما كان غائبًا عنا لدى القراءة الأولى. ونحن –هنا– نستفيد فائدتين: معرفة بأفكار نقدية جديدة قد تكون غائبة عنا؛ فالنَّاقد بدأبه واطِّلاعه، وعكوفه على مصادر الفكرة يغنيها ويثري عالمنا العقلي، ويوفر لنا أوقاتًا طويلة من المشقة، والعناء في تحصيل الأفكار، والمناهج التي تعج بها النظرية النقدية في عالم اليوم. والفائدة الأخرى أننا نلحظ ما لم نكن نلحظه من قبل في النصوص الإبداعية نفسها، والأمر هنا يتوقف على ذكاء الناقد وبصيرته واجتهاده أيضًا، وإطالته النظر في النصوص، وحسن تلطفه في وعي أبعادها. وأن يحيط علمًا بالمناهج النقدية واستراتيجياتها المختلفة عمومًا، فلن تكون أكثر من مصابيح نستصحبها في رحلتنا خلال تلك القلاع المجهولة المسماة القصيدة، أو غيرها من الأجناس الأدبية[41].

ومن مهمات الناقد الضرورية التأكد من مدى صلاحية المنهج النقدي للتطبيق، ونجد هذه الظاهرة ضمن كتاب "في قراءة النص" إذْ يقرر مؤلفه أنّ: "منهج التحليل البنيوي هو الأمثل والأكثر اقتدارًا على اكتناه النص من الشعر القديم والمهم أنَّ المنهج في حالة تأبّيه على التطبيق أنْ يمتلك القوة في التطبيق"[42]. ويبدو أنَّ مسألة التأكد من

41 إبراهيم، السيد: قضايا النقد الأدبي المعاصر في كتابات عبدالله الغذامي، مجلة علامات في النقد، النادي الثقافي الأدبي، جدة، المجلد السابع، ج28، 1998، ص87.

42 المومني، قاسم: في قراءة النص ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر: الأردن، ط (1)، 1999، ص109.

مناسبة المنهج لقراءة النص الأدبي تشكل ضرورة منهجية لابدَّ من الالتفات إليها لتجاوز مسألة التصادم بين المنهج النقدي وطبيعة العمل الأدبي المراد تحليله.

وهنا يتضح أن: "الأنماط البنيوية المعاينة في هذا البحث وغير المعاينة تحمل في طياتها تحليلين، أولهما: إرساء دعائم التنوع والتنميط في البنيوية، وذلك للحاجة العلمية والنقدية لتلك المناهج التي تجيب عن أسئلة نقدية عميقة، وثانيهما: نهاية البنيوية أو قتلها: فالقول بنهاية البنيوية أمر سابق لأوانه، لأنَّ التوليدات التي أطلق عليها لقب (ما بعد البنيوية) ليست إلا مرحلة أخيرة من مراحل إشباع البنيوية[43]، أمَّا سبب تعدد أنماط البنيوية فإنَّ "هدف التحليل البنائي للأدب إنما هو اكتشاف تعدد معاني الآثار الأدبية"[44]. وما يهمنا – هنا– النقد الأدبي الذي ينتهج هذه الأنماط من البنيويات بمختلف مرجعياتها الثقافية، ونماذجها الإنسانية، فلا بدّ للناقد الأدبي من السير بخطى حثيثة وبرؤى علمية ثاقبة نحوها، ولا أعني –هنا– أن الدارسين والنقاد الذين أولوا هذه الأنماط البنيوية جلّ اهتمامهم وقلدوها لمجرد التقليد، وإنما تأتي في محاولات جادة؛ من أجل اتساع رؤاهم ومنطلقاتهم النقدية تجاه العمل الأدبي والكشف عن أوجه معانيه.

الخاتمة

حاول البحث تقديم إجابات عن عدد من الأسئلة التي صدر عنها ومن هذه الأسئلة: ما أهم أنماط البنيوية التي ظهرت في الدراسات النقدية الغربية والعربية؟ من هم النقاد الذي قدموا نماذج على أنماط البنيوية؟ وهل توجد نماذج لنقاد طبقوا البنيوية؟

43 المناصرة، عز الدين: جمرة النص الشعري (مقدمات نظرية في الفاعلية والحداثة)، دار الكرمل للنشر والتوزيع، الأردن، 1995، ص252.

44 فضل، صلاح: نظرية البنائية في النقد الأدبي، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق، ط (3)، 1987، ص298.

وقد كانت الإجابات على شكل عرض لأنماط بنيوية محدَّدة، وبيان لجهود الذين أسهموا في تدريس الأصول المنهجية لتلك الأنماط التي جاءت على النحو الآتي:

النمط الأول: البنيوية (الشكلانية/ اللسانية)، ونموذجها عند (فرديناند دي سوسير).

النمط الثاني: البنيوية النفسية، ونموذجها عند (جاك لاكان).

النمط الثالث: البنيوية التكوينية (التأسيس، والمصطلحات والمفاهيم)، ونموذجها عند(لوسيان غولدمن).

لقد تصدى هذا البحث لعرض ثلاثة أنماط من البنيوية، ومراجعها، وبدأ بالنمط الأول، وهو البنيوية (اللسانية/ الشكلية)، ونموذجها عند (سوسير)، وأمَّا النمط الثاني فهو البنيوية النفسية، ونموذجها عند (جاك لاكان)، وجاء النمط الثالث كشفًا عن البنيوية التكوينية، ونموذجها عند (لوسيان جولدمن)، وجاء عرض هذه النماذج؛ انطلاقا من عدم فصل الأنماط البنيوية عن مرجعياتها الثقافية، ونماذجها الإنسانية.

لقد شهد النقد البنيوي حالة متميزة وفريدة في رؤيته وتشكيله؛ لأنَّه اتسم بتعدد الأنماط النقدية، ومواكبته للتحولات النقدية، وتداخله مع الحقول العلمية والفلسفية والإبداعية واللغوية والأدبية والنقدية، ومستفيدًا من مطارحاتها بالقدر الذي يحتاجه منظروها. وتُشَكِّلُ الأنماطُ البنيوية طرائقًا للتطبيق على الأعمال الأدبيَّة من خلال التفاعل البناء بين مجموعة من العوامل أهمها القناعة بالبنيوية لكونها قادرة على التحليل النقدي، وإدخال بعض الخبرات اللسانية عند(سوسير)، والنفسية عند (جاك لاكان)، والاجتماعية عند (جولدمن).

وتسهم هذه الأنماط البنيوية في تقديم أدوات منهجية قادرة على سبر أغوار الأعمال الأدبية من خلال تنوع هذه الأدوات، وقدرتها على مناسبة المدلولات التي تحتويها هذه الأعمال، وتبين البحث أن الأنماط البنيوية جاءت استجابة لمطالب منهجيّة

تناسب المراحل النقدية التي مرتّ بها البنيوية خلال مسيرتها النقدية، وأنَّ تعدد الأنماط البنيوية أدى إلى قدرة البنيوية على مواكبة حركية الإبداع.

وأنَّ الأنماط البنيوية جاءت استجابة للبنى الشكلية، والاجتماعية، والنفسية، التي تبنى عليها الأعمال الأدبية، وهذا يدفع عن هذه الأنماط مسألة الهوى الشخصي، ويجعلها علمية في طرق تناولها للأعمال الأدبية.

وقد حاول البحث، في ثناياه، الإجابة عن عدد من الأسئلة النقدية، والمنهجيَّة المهمَّة، وأُولاها: ما مسوغات تعدد النماذج البنيوية، وما أسرارها إنتاحها؟ وثانيتها: أيُّ الأنماط البنيوية يناسب قراءة الأعمال الأدبية والتطبيق عليها؟ وثالثتها: ما المرجعيات الفكرية التي أدَّت إلى إنتاج الأنماط البنيوية؟ ورابعتها: كيف تستثمر هذه الأنماط البنيوية في تنوُّع القراءات النقدية؟

المصادر والمراجع:

إبراهيم، زكريا: مشكلة البنية أو أضواء على البنيوية، مكتبة مصر، مصر، 1976.

أسعد، وجيه: علم النفس وميادينة: ممارسة علم النفس ونقده، الدار المتحدة للنشر، سورية، ط (2)، 1993.

أوزياس، ماري، جان وآخرون: البنيويّة، ترجمة: ميخائيل إبراهيم مخّول، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، 1972.

البازعي، سعد: استقبال الآخر – الغرب في النقد العربي الحديث، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء – المغرب، ط (1)، 2004 .

بريتون، سيليا: النظريات البنيوية والنفسية والماركسية: موسوعة كمبريدج في النقد الأدبي، المشروع القومي للترجمة، تحرير: رامان سلدن، 2006.

خليل، إبراهيم: في اللسانيات ونحو النص، دار المسيرة للنشر والتوزيع، الأردن، ط (1)، 2007.

أبو ديب، كمال: جدلية الخفاء والتجلي دراسات بنيوية في الشعر، دار العلم الملايين، لبنان، 1984.

أبو ديب، كمال: الرؤى المقنعة (نحو منهج بنيوي في دراسة الشعر الجاهلي)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1986.

دي بوجراند، روبرت، وآخرون: مدخل إلى علم لغة النص، دار الكتاب، جامعة نابلس، ط (1)، 1992.

الرقب، أحمد: نقد النقد (يوسف بكار ناقدًا)، دار اليازوري، الأردن، 2007.

زيتوني، لطيف: آفاق النظرية الأدبية المعاصرة بنيوية أم بنيويات؟ (بنيوية واحدة بكيفيات كثيرة)، تحرير وتقديم: فخري صالح، المؤسسة العربيّة للدراسات والنشر، بيروت، ط (1)، 2007.

سعد الله، سالم، محمد: الأسس الفلسفية لنقد ما بعد البنيوية (دراسة فلسفية)، دار الحوار للنشر والتوزيع: سورية، 2007.

سيم، ستيوارت ولوون، فان، بورين: أقدم لك...النظرية النقدية، ترجمة: جمال الجزيري، المشروع القومي للترجمة: المجلس الأعلى للثقافة، مصر، 2005.

شولز، روبرت: البنيوية في الأدب، ترجمة: حنا عيود، منشورات إتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1984.

صالح، فخري: آفاق النظرية الأدبية المعاصرة بنيوية أم بنيويات:النظرية ومقاومة النظرية، تحرير وتقديم: فخري صالح، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط (1)، 2007.

عزام، محمد: فضاء النص الروائي (مقاربة بنيوية تكوينية في أدب نبيل سليمان)، دار الحوار للنشر والتوزيع، سورية، ط (1)، 1996.

عوض، ريتا: بنية القصيدة الجاهلية (الصورة الشعرية لدى امرئ القيس)، دار الآداب، لبنان، ط (1)، 1992.

الغَذّامي، عبدالله: الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية قراءة نقدية لنموذج إنساني معاصر (مقدمة نظرية ودراسة تطبيقية)، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط (6)، 2006.

فضل، صلاح: نظرية البنائية في النقد الأدبي، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق، ط (3)، 1987.

فضل، صلاح: مناهج النقد المعاصر، أطلس للنشر والإنتاج، القاهرة، ط (4)، 2005.

كريزويل، إديث:عصر البنيوية، ترجمة: جابر عصفور.الكويت، دار سعاد الصباح، ط (1)، 1993.

ليتش، إدموند: كلود ليفي – شتراوس (دراسة فكرية) ترجمة: ثائر ديب، منشورات وزارة الثقافة، سورية، 2002.

لوسيان، غولدمان، وآخرون: البنيوية التكوينية والنقد الأدبي، مؤسسة الأبحاث العربية، لبنان، ط (1)، 1984.

ماضي، عزيز، شكري: في نظرية الأدب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط (4)، 2013.

ماضي، عزيز، شكري: من إشكاليات النقد العربيّ الجديد، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط (1)، 1997.

المسّاوي، عبد السلام: البنيات الدالة في شعر أمل دنقل، إتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1994.

المسدّي، عبد السلام: قضية البنيوية (دراسة ونماذج)، نشر وزارة الثقافة، تونس، 1991.

المناصرة، عزّ الدين: جمرة النص الشعري (مقدمات نظرية في الفاعلية والحداثة)، دار الكرمل للنشر والتوزيع، الأردن،1995 .

المومني، قاسم: في قراءة النص، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الأردن، ط (1)، 1999 .

هاريس، تولبت: أعلام الفكر اللغوي (التقليد الغربي من سقراط إلى سوسير) ترجمة: أحمد شاكر الكلابي، دار الكتاب الجديد المتحدة، لبنان، ج (1)، ط (1)، 2004.

هال، جون وبويلوور، وليام وشوبان وليامز: مقالات ضد البنيوية، ترجمة: إبراهيم خليل، دار الكرمل، الأردن، 1986.

هوروكس، كريس، وجفتيك، زوران: أقدم لك... فوكو، ترجمة: إمام عبد الفتاح إمام، المشروع القومي للترجمة، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، 2002.

وغليسي، يوسف: إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم ناشرون، الجزائر، ط (1)، 2008.

الدوريات:

إبراهيم، السيد: قضايا النقد الأدبي المعاصر في كتابات عبدالله الغذامي، مجلة "علامات في النقد": النادي الثقافي الأدبي، جدة، المجلد (7)، ج (28)، 1998.

الجبوري، عباس محمد رضى، وإيناس كاظم شنبارة: عتبات البنيوية التكوينية ونقاط انطلاقها، مجلة "كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية"، جامعة بابل، العدد(25)، شباط، 2016.

حمود، عبد العزيز: المرايا المحدبة (من البنيوية إلى التفكيك)، مجلة "علم المعرفة"، الكويت، 1998.

الزواوي، بغورة: البنيوية منهج أم محتوى، مجلة "عالم الفكر"، العدد الرابع، 30 أبريل، الكويت، 2002.

صدقي، علي: المناهج النقدية الغربية في النقد العربي المعاصر، مجلة "عالم الفكر": العدد (4)، المجلد (41)، (أبريل– يونيو)، 2013.

مرتاض، عبد الملك: مدخل في قراءة البنيوية، مجلة "علامات في النقد"، النادي الثقافي الأدبي، جدة، المجلد السابع: ج (8)، 1998.

المراجع الأجنبية:

Ferdinand de Saussure, Course in General Linguistics, trans. Roy Harris (London: Duckworth), 1983.

John Lechte, Fifty Key Contemporary Thinkers- From structuralism to postmodernity, (Routledge, 11 New Fetter Lane, London), 1994.

John Sturrock,"Roland Barthes",in John Sturrock,ed., Structuralism and Since: From Levis-Straus to Derrida(Oxford U P, 1979).

P.V.Zima: Golman-psychotheque, 1973.